التّفرّد القرائي للتّغيّرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة في قراءة نافع

The reading uniqueness of morphological changes and grammatical words in Nafi's reading

أ. عبد القادر بن فطة♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال:DOI 2025 10.33705/0114-027-004-002

تاريخ الاستلام:17-03-2025-تاريخ القبـول:07-04-2025-تاريخ النّشر: 15-12-2025

ملخّص: حظيت المدينة المنورة بتقدير واهتمام العديد من الفقهاء والعلماء لما لها من أهميّة علميّة باعتبارها موطن كبار الصّحابة، فقد برز العديد من أهل العلم والإقراء الذين أسهموا إسهامًا واضحًا في انتشار العلوم، ووضعوا في أروقة المساجد الأسس السّلميّة لتأصيل العلوم، ومنها علم القراءات وكان أبرز من اهتمّ بها نافع الذي استعرض فيها الجوانب المهمّة من أصول وفرش. قدّم نافع مادة أساسيّة في مذهبه ساعدت على رسم الصّورة التي كانت عليها الانطلاقة الأولى في تنفيذ الرّسالة السّماويّة.

وممّا لا شكّ فيه فإنّ أرض المدينة المنورة اكتسبت مكانة مرموقة وأصبحت من أهم مراكز الإقراء، وكان لها النّصيب الأوفر في بناء صرح علم القراءات على يد نافع الذي كان له الفضل في غرس المبادئ الصّحيحة في نفوس القراء.

كلمات مفتاحيّة: التّغيرات الصّرفيّة؛ الألفاظ الفرشيّة؛ لغة القرآن.

♥ جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر، البريد الإلكتروني:
abdelkader.benfetta@univ-mascara.dz (المؤلّف المرسل).

Abstract: Al-Madinah Al-Munawwarah has received the appreciation and attention of many jurists and scholars because of its scientific importance as the home of the great Companions. Many people of knowledge and readers have emerged who have made a clear contribution to the spread of science, and laid in the corridors of mosques the peaceful foundations for the rooting of science. Among them is the science of readings, and the most prominent one who cared about it was Nafeh, who reviewed in it the important aspects of the origins and furnishings. Nafie presented basic material in his doctrine that helped draw the image of the first breakthrough in the implementation of the heavenly message.

Undoubtedly, the land of Medina gained a prestigious position and became one of the most important reading centers. And it had the greatest share in building the edifice of the science of readings at the hands of Nafeh.

Keywords: Morphological changes; morphological words; the language of the Qur'an; the science of readings.

1. مقدّمة: عرف نافع بالحلم والعقل والفضل، رفع علم القراءات عاليًا لأنّ ملكته كانت مضيئة تنير الدّرب الفسيح لانتشار مذهبه الذي اجتذب عليه رجال الإقراء يمدّون إليه أذهانهم، ويشخصون إليه الألباب. وضع فرشه الذي أخذه من سرّة اللّغة القرآن وسنّة الفصحاء لكونه مازال طريًّا ليّنًا لقربه من فترة النّبوة وأرسى الأسس البكر لعلاقة فرشه بالتّغيرات الصّرفيّة، لتكون وشيجة تربطه بخدمة كتاب الله .

إنّ العلاقة بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة لدى نافع تنقل لنا ملامح واضحة لحركة داعيّة لمواجهة زحف الشّذوذ على خارطة علم القراءات، فجهده القرائي كان متّجها لخدمة لغة القرآن، فهو بمنجزه النّهائي رافد أصيل من روافد

تعزيز الحركة القرائيّة النّي استقطبت أعدادا من القراء كورش قالون حتى غدا فرشه ذا شأن عظيم.

واتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التّحليلي للوقوف على مظاهر التّفاعل المنطقي بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة لدى نافع، لما لهما من تأثير على ذهنيّة المتلقي، لا يقف اعتماده على القرآن الكريم في بناء هذه العلاقة وترصينها، بل نهل من ذخيرته اللّغويّة، فكان يحلو له أن يحقّق البراعة في صورة الفرش لتغدو قراءته نافذة في النّفوس.

السّؤال المطروح: هل تمكّن نافع بهمّته العلميّة من التّعمّق في تجليّة علاقة التّغيرات الفرشيّة بالألفاظ الفرشيّة بالاتّكاء على استحضار مخزون حافظته؟

2. مفهوم الفرش:

1.2لغة: جاء في قاموس المحيط في مادة "فَرَشَ: فَرْشاً وفِراشاً: بَسَطَهُ وفَرَشَهُ أمراً: أَوْسَعَهُ إيَّاهُ. وهوَ كَرِيمُ المَفَارِشِ: يَتَزَوَّجُ الكَرائِمَ. والفَرْشُ: المَفْرُوشُ من مَتاعِ البَيْتِ، والزَّرْعُ إذا فُرِشَ، والفضاء الواسع، والمَوْضِعُ يَكْثُرُ فيهِ النّباتُ وصِغَارُ الإبِلِ، ومنه: ﴿**ومن الأَنْعَامِ حَمُولَةً وفَرْشاً**﴾ (الأنعام142)، والدّقُّ الصّغَارُ من الشّجَرِ والحَطَبِ وعِرْقَانِ أَخْضَرَانِ تَحْتَ اللِّسَانِ، وبِالكَسر: ما يُفْرَشُ ج: فُرُشٌ، وزَوْجَةُ الرّجُلِ، قيلَ: ومنه: ﴿**وفُرُشٍ مَرْفوعَةٍ**﴾ (الواقعة34)[1].

2.2 اصطلاحا: قال أبو شامة (665 هـ): (القراء يسمونه ما قل دوره من الحروف، فرشا، لانتشارهن فكأنّه انفرش إذ كانت الأصول ينسحب حكم الوحد منها على الجميع. وسماه بعضهم: الفروع على مقابلة الأصول، ويأتي في الفرش مواضع مطردة حيث وقعت وهي بالأصول أشبه منها بالفرش)[2].

قدم التّعريفان اللّغويّ والاصطلاحي وثيقة علميّة تمتلك هويتها المعرفيّة بوصفها كنزا من كنوز الأمة ومصدر من مصادرها الفكريّة والإبداعيّة، وإشارة حاسمة إلى قدرة العقل العربي والإسلامي على إرساء أسس مصطلح الفرش ومنحه موقعه من علم القراءات، وجعله الرّافد الرّئيس للقارئ، وسحب البساط

من تحت أهل الشّذوذ واللحن، والانصهار في المسيرة العلميّة لحركة الإقراء. إنّه إسهام جاد في خدمة تراث خير أمّة لسعة مادته وتعدّد آثاره في حياة اللّغة وسلامتها.

من نماذج ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَذَرُنَّ وُدّا**﴾ **(نوح23)** (وقرأ نافع «وُدّا» بضَّم الواو وفتحها الباقون.)[3] (وُدّا) اسم من أسماء رجال صالحين من قوم نوح إذا مات سوّل لهم الشّيطان تخليده بصنم حتى لا ينسى، وكان لقريش صنم بهذا الاسم ويطلقون على أبنائهم (عبد ودٍّ)، وبالضّم المحبّة، أمّا (وَدّا) بالفتح فهو الصّنم قال عمرو بن قميئة:[4]

بِوُدِّكِ ما قَومي عَلى أَن تَرَكتِهِم سُلَيمى إِذا هَبَّت شَمالٌ وَريحُها

3. ملكة نافع اللّغويّة: عندما نصاحب نافع في رحلته القرائيّة، ونستطلع ما في فرشه نقرّر أنّه متمرّس في القراءة، لا يعدم أن نجد فيها ما يميّزه عن الآخرين، ولن يكون عصيّا على المتعلم أن يهتدي إلى استيعاب أصول فرشه. كان لقدرة القارئ في امتلاك ناصيّة اللّغة أثر بارز في إحساس بأنّ له الحقّ أن يصيغ علاقة قياسيّة بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة، فهو يشفقّ الأنماط الصّيغيّة التي تؤدي الدّلالة على مقتضى القياس. فملكته اللّغويّة، كما هي الحال مع غيره مع كبار القراء ترتكز على أسين صلدين، أولهما موهبته بما تتضمنه من ذكاء وحدّة في الذّهن، وثانيهما المعرفة الخصبة والإحاطة باللّغة فقد اختار المدينة المنورة مقرّا. ولا ريب أنّ موهبته ما كانت لتضع قدميه على عتبة القدرة القرائيّة العاليّة لولا ما أخذ به نفسه على الجدّ والمثابرة في ملازمة كتاب الله ومتابعة العربيّة.

كان نافع يطيع فرشه ويرسل قراءته على سجيّتها أي أنّ السّياق هو الذي يتحكّم في التّغيرات اللّغويّة التي توافق أقيسة اللّغة، لم يكن يحفل بشيء من مذاهب النّحويين أو قواعدهم؛ بل كان شديد الحرص على معرفة اللّغة وطرائق

استعمالها وتجنّب اعتراض المعترضين. كان لثروته اللّغويّة التي يتملكها واطّلاعه على لغات العرب أثر بارز في فرشه، فالقارئ لا يعدم أن يواجه أثار هذه اللغات في ألفاظها واستعمالاتها. فهو ذو لغة شافيّة الوضوح متقنة تصلح لإرضاء الذّوق القرائي في البحث عن الألفاظ الفرشيّة، وهو على ثقافة يستطيع معها ترصيع التّغيرات الصّرفيّة، ورغم تنوّع الأنماط الصّيغيّة فإنّه احتفظ بمذاق خاص حيّل الصّيغ، وجهد نفسه نحو هندستها لتحمل دلالة، وفي نطاق قراءته التي مارسها بمرونة عظيمة، ردّد على سمع اللّغة العربيّة تغيرات صرفيّة مقبولة استقبلت برضا المتلقي.

إنّ اهتمامه باللّغة ينِم عن اعتزازه بالقرآن لأنّه السّموّ المطلق، ولم يعدّ علم القراءات مسألة خدمات تؤدى للمتعلّمين، وإنّما مسألة شرف وراثي، وتربيّة عاليّة. امتزج ولعه وغيرته في حمل لواء حركة الإقراء بمكة، أنّه يؤمن باتّساع اللّغة العربيّة وكثرة مفرداتها؛ إذ يوجد فيها من العبارات والصّيغ والأنماط ما لا يوجد في غيرها. غلبت عليه النّزعة اللّغويّة، فهو مطبوع على هذا الميل رغم أنّ أصله من أصبهان، تبحّر في دقائقها، وتصرّف في مفرداتها، واستخدم الألفاظ على حقيقتها لتثمين فرشه. لقد استضاء نافع بضياء القرآن الكريم فقلّب النّظر في آياته، وزيّن قراءته بها، كما تمكّن من اللّغة وتفقّه فيها، وحرص على استعمال كلّ لفظ للمعنى الخاص له، ولم يلجأ إلى غرابة الألفاظ كأنّه كان يشعر بخطورتها. كان فضله أعظم لإبرازه بقايا الفصاح ما يدل على سموّ مقامه في اللّغة وعلوّ منزلته في معرفة مفرداتها ووفرة نصيبه من خصائصها فاللّغة فيه مصقولة الذّوق صافيّة.

في كلّ عطاء قرائي لدى نافع ومهارته جذور عميقة أعطت فرشه أصالتّه وأضاءت جوهره، وجنّبته براثن الشّذوذ، ناضل بقوّة لبناء قراءته على أسس صلدة من الوعي التي تستهين بالرّطانة، وتنكر اللحن. من هذا المنطلق حرص الشّيخ على تعميق العلاقة بين التّغيرات اللّغويّة والألفاظ الفرشيّة بعيدة عن

التّعصّب والانغلاق، تغري أهل الإقراء لارتياد آفاق تتلاقح وتحتكّ بعلم القراءات.

أظهرت قراءته أكثر من علامة رامزة تثمّن تمسّكه بلغة القرآن الكريم، وتحمد تركته اللّغويّة لازمة كفاحيّة في ترسيخ مذهبه القرائي، وتستقرّ على أن من أوجب الواجبات الارتباط بالتّراث اللّغويّة.

4- التّفرّد القرائي للتغيرات الصّرفيّة لدى نافع: مذهب نافع أزهى حلقة من حلقات علم القراءات المتواترة، ونتاجه اللّغويّ جعله منبعا مهمّا، أزاح بذلك السّجاد من أنداده، ردّ على كلّ نعقة ينعقها أهل الرّطانة، استوعب الصّرف وتبنّى أبنيته وكشف عن مقاصده فربطه بألفاظه الفرشيّة ليكون مدارا علميا جادا. ما اختاره الشّيخ وارتضاه لقراءته وعقد العزم على الخوض فيه دونما تردّد، في هذا كلّه دلالة أكيدة على أهميّة العلاقة بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة وكبر جدواه.

كان شغله إيجاد الألفاظ الفرشيّة التي تقابل التّغيرات الفرشيّة للوفاء بالمتطلبات اللّغويّة المناسبة للحياة العلميّة الجديدة لأنّ الطّاعنين أرادوا غمط حقها وإيثار الغريب عليها. عمد نافع إلى هذه العلاقة بوعي ومعرفة، فاستعمل العربي الأصيل، ليؤكدّ على وقوعها في كلّ مكان وزمان لتداخل اللغات، وحتى لا يظنّ الظّان أنّ أبواب اللّغة العربيّة مفتوحة على مصارعيها لقبول كل لفظ يؤتي به، فالنّماذج التي نتقدم بها تكون مدخلا مناسبا لدراسة العلاقة بين التّغيرات الفرشيّة والالفاظ الفرشيّة.

4-1-أبنيّة الأفعال: إنّ أبنيّة الأفعال التي قرأ بها نافع تصل إلى الأذهان بعلم فاضل ووزن صحيح، لها دلالة جليّة نسخ بها فرشه، لا يستطيع أحد ردّها ولا إنكارها، إنّها ثروة لغويّة يقتبس منها أهل الإقراء في الكشف عن مسائل نفيسة من علم الصّرف، جمع ما يحتاج إليه في تمتين العلاقة بين أبنيّة الأفعال والألفاظ الفرشيّة. اجتنب رديء الأوزان مخافة إدخال السّخيف منها

بسط الفرش وقربّ دلالته وطوّق التّغيرات الصّرفيّة حتى لا يسقط القياس فكانت أبنيّة الأفعال التي انتقاها منبّهة للقارئ ليفتق الشّاذ ويبعث على الصّحيح.

قال تعالى: ﴿**وَقُولُواْ حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ **(البقرة58)** (نافع يُغْفَرْ لَكُمْ بالياء المضمومة وفتح الخاء، وابن عامر بالتّاء والباقون بالنّون مفتوحة وكسر الفاء.)[5] الفعل بالياء على البناء للمفعول عائد على الخطايا جمع ما لا يعقل شبه بجمع من يعقل من النّساء، وقراءة بالتّاء تأنيثا لجمع خطايا جمع، امّا القراءة بالنّون فهو مرتبط بما قبله **(وَإِذْ قُلْنَا)**.

وفي قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَلْ عَسِيتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ**﴾ **(البقرة 244)** (قرأ نافع **(عَسِيتُمْ)** بكسر السّين في الموضعين. وفتح الباقون.)[6] كسر السّين للتخفيف وعدم النّطق بالياء، وتكون مع الضّمير كالتّاء والنّون قال الفارسي: **(ألا ترى أن «عسٍ» مثل حر وشج؟** وحر وحري مثل مذلٍ ومذيلٍ وطب وطبيب، وقد جاف وفَعِلِ في نحو نَقَمت ونَقِمت.)[7] هذه لغة الحجاز. ورجّح النّحويون عسى بالفتح ورفضوا الكسر واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسِيتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ**﴾ **(محمد23)**.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ**﴾**(آل عمران13)** (نافع تَرَوْنَهُم بالتّاء، والباقون بالياء.)[8] القراءة بالتّاء على الخطاب **(لَكُمْ)** عائد على المؤمنين، والضّمير **(هم)** للكفار وهنا أسلوب الالتّفات خروج الكلام من المخاطب إلى الغيبة مثل قوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ**﴾ **(يونس22)**، أمّا القراءة بالياء لبقيّة السّبعة فالضّمير المرفوع للكفار، والخطاب في لكم للمسلمين، والرّؤيّة بصريّة لشدّة الالتّحام لقوله تعالى:﴿ **رَأْيَ ٱلْعَيْنِ**﴾.

وفي قوله تعالى:﴿**وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ **(الأنعام101)** فقرأ نافع وحده**(وَخَرَّقُواْ) (مشدّدة الرّاء)**[9] فقراءة نافع فيها المبالغة من الفعل (فَعَّل تفعيلا) أي افتروا على الله على سبيل الخرق

عندما نسب المشركون إليه الولد أي الملائكة افتراء لأنّهم تعلّموا ذلك عن المجوسيّة حين نسبوا الشّيطان إلى الله متولّدا عنه، أمّا القراءة بالتّخفيف فمعناها اختلق ابتدع كذبا وتخرّص قال تعالى:﴿**إِنْ هَٰذَا إِلَّا اَخْتِلَٰقٌ**﴾ **(ص6)**.

وفي قوله تعالى: ﴿**يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**﴾ **(الأعراف141)** (فقرأ نافع بفتح الياء وإسكان القاف وضم التّاء من غير تشديد وقرأ الباقون بضم الياء وفتح القاف وكسر التّاء مشددة.)[10] من الفعل قتل يقتل فيه معنى القلّة والكثرة، وأراد به مرة واحدة قال تعالى: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**﴾ **(البقرة190)** أمّا التّشديد فمن الفعل قتَّل يقتّل للمبالغة في القتل مرة تلو مرة قال تعالى: ﴿**وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلا**﴾ **(الأحزاب61)** التّثقيل يقصد به التّكثير، أمّا التّخفيف يمسّ التّكثير وغيره؛ ومن أراد الوجهين جمع بين التّخفيف والتّثقيل.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى اَلْهُدَىٰ لَا يَتْبَعُوكُمْ**﴾ **(الأعراف193)** (قرأ نافع "لا يتبعوكم" بالتّخفيف وفتح الباء هنا، وفي الشّعراء "يتبعهم الغاؤن" وقرأ الباقون بكسر الباء والتّشديد فيهما)[11] من الفعل تَبِع يَتْبَع تَبَعا وتَباعا أي اقتفى أثره، أمّا بالتّشديد فمن الفعل (اتّبع يتّبع) أي اقتدى به قال تعالى: ﴿**لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ**﴾ **(البقرة142)** وهما لغتان فصيحتان، فإذا اتّبعه ذهب في أثره وتَبِعه إذا أدركه.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِخْوَٰنُهُمْ يُمِدُّونَهُمْ فِي اِلْغَيِّ**﴾ **(الأعراف202)** (قرأ نافع ﴿**وَإِخْوَٰنُهُمْ يُمِدُّونَهُمْ**﴾ بضم الياء وكسر الميم، والباقون بفتح الياء وضم الميم.)[12] **(يُمِدُّونَهُمْ)** من الفعل الرّباعي **(أمدّ)** من الإمداد أي تمتين الشّيء بالمدد والدّعم قال تعالى: ﴿**أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰم وَبَنِينَ**﴾ **(الشّعراء133)** وقوله تعالى: ﴿**وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَة وَلَحْم مِّمَّا يَشْتَهُونَ**﴾ **(الطّور20)**، أمّا القراءة الثّانيّة فمن الفعل **(مدّ يمدّ)** بمعنى جذب ﴿**وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ **(البقرة15)**.

أغلب ما ورد في القرآن الكريم فيما يثنى أَمدَدْتُ على أفعَلْت كقوله: ﴿**أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّال وَبَنِينَ**﴾ **(المؤمنون56)**وقوله: ﴿**وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَة وَلَحْم مِّمَّا يَشْتَهُونَ**﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿**فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ**﴾ **(الحج30)** نافع﴿**فَتَخَطَّفُه**﴾ (فتح الخاء وتشديد الطّاء، والباقون بإسكان الخاء وتخفيف الطّاء)[13] **(فَتَخَطَّفُهُ)** من الفعل **(خَطَّفَ)**، وعلى صيغة تتفعّل حذفت إحدى التّاءين طلبا للتخفيف كقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَاتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ**﴾ **(هود105)** أصله تتكلّم، وقد يكون أصل الكلمة تختطفه فأدغمت التّاء في الطّاء، وجعل حركة التّاء على الخاء ففتحها أمّا القراءة الثّانيّة المخفّفة فمن الفعل خَطِف يَخْطَف خَطْفا قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ خَطِفَ اَلْخَطْفَةَ**﴾ **(الصّافات 10)**.

وفي قوله تعالى: ﴿**مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرا تُهْجِرُونَ**﴾ **(المؤمنون68)** (قرأ نافع «**تُهْجِرُونَ**» بضم النّاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بفتح التّاء وضم الجيم.)[14] **(تُهْجِرُونَ)** مضارع **(أهجر)** من الهُجر وهو الفحش والقبح لأنّ الكفار إذا سمعوا القرآن الكريم قالوا فيه لغوا مع سبّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم استكبارا قال تعالى: ﴿**اِسْتِكْبَارا فِي اِلَارْضِ وَمَكْرَ السّيِّء**﴾ **(فاطر43)** أمّا بفتح التّاء وضم الجيم فمن الفعل(هجر) أي لغا، وهجروا سماع القرن الكريم فأصابهم الهذيان.

وفي قوله تعالى: ﴿**تُجْبىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْء رِّزْقا**﴾ **(القصص57)** (فقرأ نافع وحده **(تُجْبىٰ)**بالتّاء. وقرأ الباقون**(يُجْبىٰ)** بالياء.) **(تُجْبىٰ)** من الفعل **(جبي)** بمعنى جمع الماء، وجببت الخراج عن أبي هريرةَ أنّه كان يقولُ كيفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَجْتَبُوا دِينَارًا ولَا دِرْهَمًا؟ فقِيلَ له: وكيفَ تَرَى ذلكَ كَائِنًا يا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قالَ: إي والذي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بيَدِهِ، عن قَوْلِ الصّادِقِ المَصْدُوقِ، قالوا: عَمَّ ذَاكَ؟ قالَ: تُنْتَهَكُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وذِمَّةُ رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَيَشُدُّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ قُلُوب أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَيَمْنَعُونَ ما في أَيْدِيهِمْ.)[15] والقراءة بالتّاء تعود على الثّمرات، أمّا

القراءة بالياء فعلى الثّمرات تأنيث غير حقيقي، فإذا كان كذلك كان بمنزلة النّصح إذا ذكّرتْ جاز، وكذلك إذا أنث. أو أسبغ المضاف إليه (كُلِّ شَيء) تأنيثا.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَاءَ اَللَّهِ**﴾ (**فصلت18**) (قرأ نافع «**نَحْشُرُ**» بياء مضمومة وفتح الشّين.)[16] (**نَحْشُرُ**) بنون العظمة العائدة على الله سبحانه وتعالى ومبنيا للفاعل ونصب (**أَعْدَاءَ**) كقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَي الرَّحْمَٰنِ وَفْدا**﴾ (**مريم86**) ومعطوفة على الآيّة السّابقة ﴿**وَنَجَّيْنَا الذينَ امَنُواْ**﴾ (**فصلت17**) أمّا القراءة بياء مضمومة فعلى الغيبة لفعل لم يسم فاعله مع رفع (**أَعْدَاءُ**)، لم تعطف على﴿**وَنَجَّيْنَا الذينَ ءَامَنُواْ**﴾ بل استأنف الكلام اعتمادا على ما بعده (**فَهُمْ يُوزَعُونَ**).

وفي قوله تعالى: ﴿**لَوَوْاْ رُءُوسَهُمْ**﴾ (**المنافقون5**) (نافع بتخفيف الواو والباقون بتشديدها.)[17] (**لَوَوْاْ**) من الفعل (**لوَى يلوي**) بمعنى(**أعرض**) قال تعالى: ﴿**لَيّاَ بِالسّنَتِهِمْ**﴾(**النّساء45**) وقوله تعالى: ﴿**يَلْوُۥنَ السّنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ**﴾ (**آل عمران77**) واللّيّ هو الانعطاف وتغير الكلام إلى الشّرّ، وأصل (**لَوَوْاْ**) (**لَوَيُو**) حذفت الياء بعد حف حركتها فالتّقى ساكنان، والتّخفيف اسناد الفعل إلى ضمير الجماعة، أمّا القراءة بالتّشديد فمضاعف (**لوى**) وفيه معنى التّكثير وتكرار اللّيّ فيه دلالة الاستهزاء.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَّشَاءَ اَللَّهُ**﴾ (**المدثر55**) (قرأ نافع وحده (**وَمَا تَذْكُرُونَ**) بالتّاء. وقرأ الباقون (**وَمَا يَذْكُرُونَ**) بالياء.[18] القراءة بالتّاء على الخطاب أي يا محمد قل لهم (**وَمَا تَذْكُرُونَ**) والالتّفات من الغيبة ﴿**لَّا يَخَافُونَ اَلاخِرَةَ**﴾ (**المدثر52**) إلى المخاطب، أمّا القراءة بالياء فعلى الغيبة وعطفا على ما قبله (**بَلْ يُرِيدُ**) (**المدثؤ51**) و﴿**لَّا يَخَافُونَ اَلاخِرَةَ**﴾ (**المدثر52**).

هذه التّغيرات الصّرفيّة التي تصيّدها نافع بروح علميّة عاليّة في علاقة تغيرات أبنيّة الأفعال والألفاظ الفرشيّة أصبحت لذاتها ظاهرة لغويّة بارزة تشغل بال القراء بسلامة اللّغة العربيّة، وشغل شاغل بشأن إيجاد الألفاظ الفرشيّة التي تقابل أبنيّة الأفعال، هذا وفاء بمتطلبات الحركة القرائيّة وفق التّجوّز الذي تسمح به سنن العربيّة وقواعدها. إنّ ذخيرة نافع اللّغويّة جزيلة العطاء تَنِمُّ عن حيويّة اللّغة ورحابة أفقها تكون في حالة من الصّراع المستمرّ مع الشّاذ الذي أصبح جزءا من الواقع اللّغويّ بفعل الاستعمال وطول العهد به.

4-2-أبنيّة الأسماء: إنّ تغيّر أبنيّة الأسماء التي وقع عليها نافع في علاقتها بالألفاظ الفرشيّة استقرّت في ذهن المتلقي بكلّ يسر وسهولة لتوافقها ولسان العربيّة، وتصرّفه وفق مقاييس أبنيتها اللّغويّة والصّرفيّة. نحسب هذا التّوسّع جاء تعبيرا عن تأثّره بلغة القرآن الكريم، فقد أطلّ على حركة الإقراء بسيل متدفّق من الكمّ العربي الفصيح الذي دخل متن العربيّة للحفاظ على أصالتّها، وديمومة بقائها، من غير أن تشوبها هجنة أعجميّة غازيّة.

اجتهد نافع في توطيد العلاقة بين أبنيّة الأسماء والألفاظ الفرشيّة لكي ينفي عن العربيّة أقوال أولئك الذين يتهمونها بالقصور وعدم استطاعتها التّعبير عن هذه العلاقة، وهكذا جاءت قراءة الشّيخ ردّ فعل قويّ لدحض مثل هذه المزاعم الواهيّة وحقّقت نجاحا مطّردا في هذا الشّأن.

ففي قوله تعالى: ﴿**وَأَحٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ**﴾ **(البقرة80)** (فقرأ نافع وحده: **(خَطِيٓـَٔتُهُۥ)**. وقرأ الباقون**(خَطِيئَتُهُ)**[19] القراءة بالجمع مرتبطة بالإحاطة التي تدلّ على الجمع أي الكفر والكبائر والسّيئة، فالذّنوب كثيرة فوردت الكلمة مطابقة للمعنى، الإحاطة تكون لجمع الأشياء، أمّا القراءة بالتّوحيد فعطفت الخطيئة على السّيئة لقرب المعنى بينهما وهو الشّرك، وقد يراد بالإفراد الجنس، أو يقصد بالخطيئة الزّيادة والكثرة من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا**

تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم36) (نِعْمَة) أي نعم الله الكثرة كنعمة الحواس ونعمة الصّحة.

وفي قوله تعالى:﴿**وَلَوْلَا دِفْعُ اللَّهِ﴾ (البقرة249)** نافع﴿**وَلَوْلَا دِفْعُ اللَّه﴾** هنا وفي الحج بكسر الدّال وألف بعد الفاء، والباقون بفتح الدّال وإسكان الفاء بعير ألف.[20] **(الدّفاع)** من الفعل دافع من ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اَللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ الذينَ ءَامَنُواْ﴾ (الحج36)**، ويقابلها الفعل كاتب قال تعالى: ﴿**وَالذينَ يَبْتَغُونَ اَلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ (النّور33)** أمّا القراءة بدون ألف فمن الفعل دفع دفعا لأنّ الله منفرد بالدّفع من عباده، فالدّفاع خاص بالخلق والدّفع من الله، وقد يتقارب الفعلان قال أبو ذؤيب الهذلي:[21]

ولَقَد حَرِصتُ بِأَن أُدافِعَ عَنهُمُ فَإِذا المَنِيّة أَقبَلَت لا تُدفَعُ

جعل أدافِع مكان أدفع، فالتّقدير رغبت بأن أدافع عنهم الموت؛ بيد أنّه لا تُدفَعُ.

وفي قوله تعالى: ﴿**فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَٰئِرَا﴾ (آل عمران48)** (كلهم قرأ: **(فَيَكُونُ طَيْرَ)** غير نافع، فإنّه قرأ: **(فَيَكُونُ طَائر بِإِذْنِ اِللَّهِ)** ههنا وفي المائدة[22] القراءة بألف على الإفراد مراعاة الضّمير، الطّائر وحد، والطّير يقصد به الجمع والإفراد، أمّا القراءة بدون ألف فعلى اعتبار المعنى بأنّ الله أذن له أن يخلق طيرًا كثيرة، وأجراه على اللفظ السّابق **(كَهَيّة الطّيْرِ)**.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَنُدْخِلْكُم مَّدْخَلا كَرِيما﴾(النّساء31)**(وقرأ نافع ﴿**مَّدْخَلا﴾** بفتح الميم، وكذا في الحج وضمّها الباقون فيهما.[23] **(مَّدْخَلا)** من الفعل دخل يدخل مَدخلا مصدر مع الدّخول أو مصدر ميمي، أو اسم مكان منصوب على الظّرفيّة ويقصد به النّعيم ووصفه بالكريم كقوله تعالى: ﴿**وَكُنُوز وَمَقَام كَرِيم﴾ (الشّعراء58)**، والتّقدير **(فتدخلون مدخلا)**، أمّا قراءة الضّم فمن الفعل أَدْخل قال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِ مُدْخَلَ صِدْق﴾ (الإسراء80)**.

وفي قوله تعالى: ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيِّتا فَأَحْيَيْنَٰهُ**﴾ **(الأنعام123)** (قرأ نافع **(مَيِّتا) مشدّدة الياء. وقرأ الباقون:(مَيْتا) خفيفة.)**[24] وأصل الكلمة**(مَيْوِت)** على وزن **(فَيْعِل)** قلبت الواو ياء لاستثقال الكسرة فصارت**(مَيْيِتا)** ثمّ أدغمت الياء السّاكنة في الثّاني كسيِّد ولَيِّن، **(ومَيِّتا)** الذي لم يمت بعد وهو**(مَائِت)**، أمّا بالتّخفيف فإنّه اجتنب تشديد الياء فأسكنت فكانت على وزن **(فَيْل)** هذا لا يخيل معناه و**(المَيْت)** الذي مات.

وفي قوله تعالى: ﴿**أَنِّ مُمِدُّكُم بِأَلْف مِّنَ اَلْمَلَٰئِكَةِ مُرْدَفِينَ**﴾ **(الأنفال9)** (قرأ نافع «**مُرْدَفِينَ (بفتح الدّال، وكسر الباقون.)**[25] بفتح الدّال ما لم يسم فاعله أي ألحقهم بالملائكة لمعونتهم، ونجدتهم عند الضّرورة مددا لهم في غزوة بدر والفعل يعود على الله ثمّ جاء باسم المفعول الذي يعني المؤمنين الذين أُرْدِفوا بالملائكة أي مُتْبَعِين، و**(مُرْدَفِينَ)** قد تكون صفة **(لأَلْف)** أوحال من الضّمير المنصوب في **(مُمِدُّكُم)**، أمّا القراءة بكسر الدّال فمن الفعل الذي سمي فاعله العائد على الملائكة ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلْ عَسىٰ أَنْ يَّكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الذّے تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ **(النّمل74)**.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ اِلْجُبِّ**﴾ **(يوسف10)** (قرأ نافع **(غَيَٰبَتِ اِلْجُبِّ)** في الموضعين هنا بالجمع، وقرأ الباقون بالتّوحيد[26] **(غَيَٰبَتِ)** معناها ما غاب عن البصر، ويقصد قاع البئر وظلمته.

والقراءة بالجمع معناها نواحي الغيابة كقوله تعالى: ﴿**أَوْ كَظُلُمَٰت فِي بَحْر لُّجِّيّ**﴾ **(النّور39)** فالظّلمات دالة على الكثرة والغطش النّاتج عن تجلي عدّة ظلمات.

وفي قوله تعالى: ﴿**لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرِطُونَ**﴾ **(النّحل62)** (نافع **(مُّفْرِطُونَ)** بكسر الرّاء، والباقون فتحها.[27]**(مُّفْرِطُونَ)** اسم فاعل من الفعل**(أفرط)** أي الشّطط وفي الآيّة معجّلون إلى الجحيم، وكذلك السّابق إلى الماء (عن عبد الله رضي الله عنه عن النّبي صلّى الله عليه وسلم قال: «**أنا فرطكم على**

الحوض، وليرفعن رجال منكم، ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.)[28] أمّا بالفتح فاسم مفعول مقدّمون إلى النّار مبعدون من الرّحمة، وهو من الفعل**(فَرَّطَ)** المضاعف أي ضيّع قال تعالى: ﴿**يٰحَسْرَتيٰ عَلَيٰ مَا فَرَّطْتُّ فِي جَنبِ اِللَّهِ**﴾ **(الزّمر53)**.

وفي قوله تعالى: ﴿**قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِ عُذْرا**﴾ **(الكهف76)** (وقرأ نافع **(لَّدُنِ)** بضم الدّال وتخفيف النّون.[29] حذفت نون الوقايّة المدغمة في نون**(لَّدُنِ)** لأن أصل لدن الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونًا لِيَعْلَمَ سُكُونُ النّونِ الأولى، تقول من لَدُنْ زَيْدٍ فَتُسْكِنَ النّونَ ثم تضيف إلى نفسك فتقول من لَدُنِي كقوله تعالى: ﴿**قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِ عُذْرا**﴾ **(الكهف75)** فحذف النّون تجنبا للثقل من اجتماع نونين، وهذا هو الأصل في القياس، إذا اتّصلت ياء المتكلّم تجرّدت من نون الوقايّة.

هذه التّغيرات الصّرفيّة التي وقف عندها نافع سلسة وليّنة إنّها من شروط الفصاحة، بعيدة عن الحوشيّة والثّقل، لا تخرج عن أحكام اللّغة، ذلك أنّه خضعها للتفهّم اللّغويّ، ممّا يدلّ على باع الشّيخ وعبقريته الموسوعيّة وأصالته في كلّ ما طرقه، وهي الرّوح العلميّة التي كان يمتلكها نافع في اللّغة العربيّة وتنِمُّ عن عمق رصيده العلمي.

وقف نافع من الأبنيّة الصّرفيّة موقف الحصيف المدقّق فما صدقته لغة القرآن وسنّة الفصحاء قَبِله، وإن لم يقبله عقله وفق مؤشّرات لغويّة رفضه. تلك هي طبيعة نافع ساعده فيها عقله الوقّاد الطّيّ يلاحظ الأبنيّة عن كثب ويحفظها في ذاكرته، أو يسمعها فتختزنها تلك الحافظة الرّهيبة، فالتّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة التي خرج بها الشّيخ ما هي إلاّ من تدبّره لكتاب الله وقراءته لموروث العرب اللّغويّ.

5-خاتمة: نافع ناضج الحجة، بارع الرّأي، فالقارئ يقتنع بأنّ له شخصيّة مستقلّة في فرشه، تقوم على الأمانة، وتنبئ عن دقّة وإحاطة، سما بالقراءة على

معاصريه، امتلك من الفرش ما تمكّن أن يتفرّد به بين سائر القراء. كان الشّاذ ولا يجوّزه، ويعتبطه اعتباطا، بل اختطّ لنفسه منهجا عقلانيا في التّغيرات الصّرفيّة، ويقدّم لألفاظه الفرشيّة الدّقّة والتّفصيل على أساس الفصاحة، ويلزم جانب الحذر من الغريب، ويتأكّد من صحّة الأبنيّة، يتدرّج في انتقاء ألفاظه تدرّجا علميا، حتى يبلغ الذّروة التي يشاؤها في قراءته.

كان أثره ملموسا في الحركة القرائيّة، برهن عن قدرة هائلة على تذوّق الأبنيّة الصّرفيّة، وهو بذلك ضرب مثالا رائعًا على مدى عمق كياسته التي استمدّها من أسرار القرآن اللّغويّة لأنّ ما حقّقه في صنوف الأبنيّة كاف في عدّه السّابق المبرز بالمدينة المنوّرة.[30]

-<u>النّتائج:</u>

-كان نافع أقدر على تمتين العلاقة بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة وهو يدلّ على ما وصل إليه من علم غزير، وحكمة عاليّة، ولغة رائعة، ولم يقتصر أمره على علم القراءات بل تجاوزه إلى علوم العربيّة؛

-المتتبّع لقراءة الشّيخ يعجب لسعة اطّلاعه، ويقف حائرا أمام الأبنيّة الصّرفيّة التي اختطّها لفرشه، ممّا جعله يهدي عطاء خصبا لحركة الإقراء؛

-يمتلك عقلا قويّا لا يسع ولا يتقبّل الشّاذ من الأبنيّة، بل يدحض من يقبلها من هنا اتّبع نهجا يقوم على معاينة الأبنيّة بما يلائم القياس؛

-ما ذهب إليه الرّجل جرى مجرى الفصيح في لغة مُتَّسَعة لا يخفى على النّبيه، وهدته بصيرته إلى هذا التّخريج النّفيس ليَخْرُج بالفائدة الجمّة تنله أيدي المتعلّمين؛

-ما ساعد الشّيخ في تنوّر فرشه هو التّعايش مع النّص القرآني، والتّزامه بحدوده الذي يكفي لتبيان الدّلالة النّحويّة والصّرفيّة.

-التّوصيات:

-الالتّزام بالاستقراء العميق لعلاقة التّغيرات الصّرفيّة والفرش والتّغلغل إلى لبّ التّفاعل بينهما، والتّقلّب في مناحيه للاستمتاع بلطائفه؛

-العودة إلى حظيرة علم القراءات الأصيل للتأكيد على غزارة الإنتاج القرائي وسعّة الذّخيرة التي يكتنزها القارئ؛

-استظهار ملكة القراء لتنشمئة الذّوق القرائي السّليم، والعمل على توسيع دائرة الحركة القرائيّة، والرّفع من البحوث حولها؛

-الاهتمام بالبحث القرائي النّظري والتّطبيقي، وترشيد الباحث إلى الاقتراب من لغة القرآن.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. البخاري (محمد بن إسماعيل)، الصّحيح، دمشق: دار ابن كثير، 1423.

2. ابن الجزري (أبو الخير محمد)، النّشر في القراءات العشر، (د . ت) بيروت: دار الكتب العلميّة، د. ت ر.

3 . الدّاني (أبو عمرو)، التيسير في القراءات السّبع، ط1، السّعوديّة: دار الأندلس السّعوديّة،1435.

4 . السّكري (أبو سعيد الحسن)، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد السّتار أحمد فراج القاهرة: مكتبة دار العروبة، (د . ت).

5. أبو شامة (عبد الرّحمن بن إسماعيل) (د.ت). إبراز المعاني من حرز الأماني تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، بيروت: دار الكتب العلميّة، (د . ت).

6. الفارسي (أبو علي)، الحجة في علل القراءات، تحقيق: أ. ع. معوّض، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1428.

7. عمرو بن قميئة، الدّيوان، تحقيق: حسن كامل الصّيرفي، منشورات معهد المخطوطات العربيّة جامعة الدّول العربيّة،1385.

8. ابن غلبون (أبو الحسن طاهر)، التّذكرة في القراءات الثّمان، ط1، تحقيق: أيمن رشدي سويد،1412.

9. القيسي (أبو محمد مكي بن أبي طالب)، التّبصرة في القراءات السّبع، ط2، تحقيق: محمد غوث النّدوى، الهند: دار السّلفيّة 1402.

10. ابن مجاهد (أبو بكر)، السّبعة في القراءات، (د ت) تحقيق: شوقي ضيف، مصر: دار المعارف، (د . ت).

الهوامش:

[1]- الفيرزوآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت ط5 1996م ص775.

[2]–أبو شامة (عبد الرّحمن بن إسماعيل) (د.ت). إبراز المعاني من حرز الأماني، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، بيروت: دار الكتب العلميّة، ص313.

[3]– ابن غلبون، أبو الحسن طاهر)، التّذكرة في القراءات الثّمان، تحقيق: أيمن رشدي سويد ط1 1412، ص599.

[4]–عمرو بن قميئة، الدّيوان، تحقيق: حسن كامل الصّيرفي، ط13851، منشورات معهد المخطوطات العربيّة جامعة الدّول العربيّة، ص23

[5]–الدّاني (أبو عمرو)، التيسير في القراءات السّبع، ط1 1436دار الأندلس السّعوديّة ص279.

ابن مجاهد (أبو بكر)، السّبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، (د.ت) مصر: دار المعارف، ص186.

[6]–ابن مجاهد (أبو بكر)، السّبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، (د.ت) مصر: دار المعارف، ص186.

[7]– أبو علي الفارسي، الحجة، 168.167/2.

[8].–الدّاني، التيسير، ص308.

[9]– ابن مجاهد، السّبعة، 264.

[10]– ابن الجزري (أبو الخير محمد)، النّشر في القراءات العشر، (د. ت) بيروت: دار الكتب العلميّة. النّشر، 271/2.

[11]– القيسي أبو محمد مكي بن أبي طالب)، التّبصرة في القراءات السّبع، تحقيق: محمد غوث النّدوى، لطبعة الثّانيّة، الهند: دار السّلفيّة، 1402، ص520.

[12]– ابن غلبون، التّذكرة، ص350.

[13]– الدّاني، التيسير، ص 440.

[14]– القيسي، التّبصرة، ص606.

[15]–البخاري، الصّحيح، باب إثم من وعاهد ثم غدر، الحديث رقم3180.

[16]– القيسي، التّبصرة، ص665.

[17]– الدّاني، التيسير، ص533.

[18]– ابن مجاهد، السّبعة، ص 660.

[19]– ابن مجاهد، السّبعة، ص162.

[20]– الدّاني، التيسير، ص 297.

[21]–السّكري (أبو سعيد الحسن)، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد السّتار أحمد فراج مكتبة دار العروبة القاهرة، 8/1.

[22]– ابن مجاهد، السّبعة، ص206.

[23]– ابن غلبون، التّذكرة، ص306.

[24]– ابن مجاهد، السّبعة، ص268.

[25]– ابن غلبون، التّذكرة، ص 522.

[26]– القيسي، التّبصرة، ص545.

[27]– الدّاني، التيسير، ص406.

[28]–البخاري، الصّحيح، كتاب الرّقائق، باب الحوض، الحديث رقم6576.

[29]– ابن مجاهد، السّبعة، ص 578.